

قراءات في الهبة الفلسطينية

إمطانس شحادة وعميد صعابنة*

دور فلسطينيي ٤٨ ومكانتهم
في المشروع الوطني الفلسطيني

شهد الوعي السياسي للفلسطينيين في مناطق ٤٨ تبلوراً جدياً، في ظل محاولات إسرائيل فرض سياسات الأمر الواقع في المناطق المحتلة منذ سنة ١٩٦٧، وشبه إجماع بين الأحزاب الإسرائيلية الأساسية على رفض إقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وعلى أن حل الدولتين غير واقعي ومن شأنه تهديد مستقبل دولة إسرائيل، وفي ظل العداء بين دولة إسرائيل والمواطنين العرب، وتلاشي وهم تحقيق المساواة، أو تغيير طابع الدولة إلى دولة مواطنين، وبوادر عودة الخطاب إلى أصول الصراع الصهيوني - الفلسطيني، والتعامل مع المشروع الصهيوني كمشروع استعماري استيطاني.

قد يؤدي هذا الوعي إلى نمو خطاب سياسي لدى الفلسطينيين في إسرائيل فحواه أن ترتب مكانتهم ومستقبلهم السياسي هو جزء من بنود حل القضية الفلسطينية (الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني) وليس على هامش التسوية، وأنهم ليسوا مسألة إسرائيلية داخلية فقط.

هذا التحول قد يؤهل الفلسطينيين في إسرائيل لأداء دور فاعل في الحركة الوطنية الفلسطينية في المستقبل القريب. غير أن أي دور مستقبلي يجب ألا ينحصر بقرار الفلسطينيين في إسرائيل وحدهم، بل أن يكون مشتركاً بين فئات الشعب الفلسطيني ومكونات الحركة الوطنية الفلسطينية.

ومن أجل دراسة التحولات في الوعي السياسي لدى الفلسطينيين في إسرائيل ومكانتهم ودورهم في المشروع الوطني الفلسطيني، فإننا سنعرض ونحلل في هذا التقرير نتائج استطلاع رأي عام تناول مواقف المجتمع الفلسطيني على طرفي الخط الأخضر فيما يتعلق بدور فلسطينيي الداخل ومكانتهم في المشروع الوطني الفلسطيني.

* إمطانس شحادة: مدير البرامج البحثية في مدى الكرمل • عميد صعابنة: زميل بحث ومسؤول وحدة استطلاعات الرأي العام في مدى الكرمل.

وقد بادر إلى الاستطلاع وأشرف عليه، وضمنه تحديد الموضوعات وصوغ الأسئلة، كل من "مؤسسة الدراسات الفلسطينية" و"مركز مدى الكرمل". ونُفذ استطلاع المناطق المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ عبر مقابلات شخصية أجراها "مركز القدس للإعلام والاتصال"، مع عينة تمثيلية عشوائية بلغ عددها ١٢٠٠ شخص تزيد أعمارهم عن ١٨ عاماً في الضفة الغربية وقطاع غزة، بين ١٩ و٢٣ آب / أغسطس ٢٠١٥، بينما نُفذ استطلاع المناطق المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ بواسطة مقابلات هاتفية أجراها معهد "ستات نت" مع عينة عشوائية تمثيلية بلغ عددها ٥٨٨ مستطلعاً في أيلول / سبتمبر ٢٠١٥. وشمل استطلاع مناطق ٦٧ أسئلة مشتركة تناولت مكانة ودور فلسطينيي ٤٨ في المشروع الوطني الفلسطيني، بينما شمل استطلاع ٤٨ عدداً إضافياً من الأسئلة تناولت موقف المجتمع الفلسطيني تجاه دولة إسرائيل. وعُرضت نتائج الاستطلاع في مؤتمر نظمه كل من "مؤسسة الدراسات الفلسطينية" و"مركز مدى الكرمل" بعنوان "دور الفلسطينيين في مناطق ٤٨ ومكانتهم في المشروع الوطني الفلسطيني"، وعُقد بين ٧ و٩ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٥ في بيرزيت والناصرة.

توافق في الوعي السياسي وتباين في الأدوات

سأل الاستطلاع بداية عن الدور الذي يؤديه الفلسطينيون في إسرائيل في المشروع الوطني الفلسطيني، ووجدنا أن قسماً صغيراً من المستطلعين يعتقد أنهم يقومون بدور كبير. وكانت النسبة ١١٪ في مناطق ٤٨، و١٤٪ في مناطق ٦٧، ورأى ثلث المستطلعين في المنطقتين أن دورهم مقبول، والقسم الأكبر رأى أنه دور غير كاف (٣٦٪ في الـ ٤٨، و٢٣٪ في الـ ٦٧)، بينما رأى قسم صغير أن لا دور لهم (انظر الجدول رقم ١).

الجدول رقم ١

ما هو تقديرك للدور الحالي الذي يقوم به فلسطينيو ٤٨ في المشروع الوطني الفلسطيني؟

الإجابات %	٤٨	٦٧
دور كبير	١١	١٤
مقبول	٢٩	٣٥
غير كاف	٣٦	٢٣
لا دور لهم	١٩	١٣
لا أعرف / لا إجابة	٥	١٥
المجموع	١٠٠	١٠٠

أمّا بالنسبة إلى الدور المطلوب من فلسطيني ٤٨ في المستقبل، فقد وجدنا أن ٥٥٪ من المستطلعين في كلا المنطقتين (٦٧ و٤٨) يعتقدون أنه مطلوب من فلسطيني ٤٨ دور أكبر في المشروع الوطني الفلسطيني (انظر الجدول رقم ٢). بينما قال ربع المستطلعين إن المطلوب هو الحفاظ على دورهم الحالي، ونسبة صغيرة رأّت أن المطلوب هو دور أقل. ويمكن القول إن هذا الموقف يعكس رغبة جميع فئات الشعب الفلسطيني في إشراك فلسطيني ٤٨ في المشروع الوطني الفلسطيني، وذلك على الرغم من غياب أي عمل سياسي مشترك منظم بين شقّي الخط الأخضر، ومن غياب برنامج سياسي مشترك واضح وقوي يطرح الحلول المطلوبة.

الجدول رقم ٢

ما هو تقديرك للدور المطلوب من فلسطيني ٤٨ في هذا المشروع؟

الإجابات٪	٤٨	٦٧
مطلوب دور أكبر من دورهم الحالي	٥٦	٥٥
مطلوب الحفاظ على دورهم الحالي	٢٤	٢٦
مطلوب دور أقل نسبياً	٣	٢
ليس مطلوباً منهم دور يذكر	١٠	٤
لا أعرف / لا إجابة	٧	١٣
المجموع	١٠٠	١٠٠

وفي قراءة للإجابات عن الأسئلة السابقة نجد أن أغلبية كبيرة من المستطلعين في مناطق ٦٧ و٤٨، ترى أن حل القضية الفلسطينية هو شأن جميع الفلسطينيين، أي الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة والشتات، وفلسطيني ٤٨ أيضاً.

ووفقاً لنتائج الاستطلاع، فإن أغلبية كبيرة ترى أن دور فلسطيني ٤٨ يجب ألا يقتصر على الدعم والتأييد من دون القيام بدور فاعل، وهذا ما يتضح من الإجابات عن سؤال من شقّين بشأن دور فلسطيني ٤٨ في إيجاد حل للقضية الفلسطينية: الأول، هل إن حل القضية الفلسطينية هو في الأساس شأن الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة واللاجئين، وأن دور فلسطيني ٤٨ يقتصر على الدعم والتأييد؟ الثاني، هل إن حل القضية الفلسطينية هو شأن جميع الفلسطينيين، أي الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة واللاجئين، وفلسطيني ٤٨ أيضاً؟

الجدول رقم ٣

هل يقتصر دور فلسطيني ٤٨ على المناصرة، أم القيام بدور فاعل؟

الإجابات %	٤٨	٦٧
الإجابات على الجزء الأول من السؤال	٢٧	١٦
الإجابات على الجزء الثاني من السؤال	٦٧	٧٦
لا أعرف / لا جواب	٦	٩
المجموع	١٠٠	١٠٠

علاوة على الموقف الداعم للرأي القائل إن حل القضية الفلسطينية هو شأن جميع الفلسطينيين، فإننا نجد أن معظم المستطلعين من مناطق ٦٧ يرى أن هناك حاجة ملحة إلى أن يكون لفلسطيني ٤٨ تمثيل جدي في المؤسسات السياسية الوطنية الفلسطينية، بينما يرى ربع المستطلعين من مناطق ٤٨ حاجة ملحة إلى ذلك، ونسبة ١٥٪ لا ترى حاجة ملحة، ولا يرى ٥١٪ حاجة أصلاً إلى مشاركة في هذه المؤسسات (انظر الجدول رقم ٤)، أي أن فلسطيني ٤٨ منقسمون بشأن المشاركة في المؤسسات السياسية الوطنية الفلسطينية، بخلاف فلسطيني ٦٧. فغالبية الفلسطينيين في إسرائيل ترى حاجة إلى دور أكبر في المشروع الوطني الفلسطيني، لكنها لم تحسم موضوع الأدوات للقيام بهذا الدور. فعلى سبيل المثال، لا ترى أغلبية من العينة المستطلعة في مناطق ٤٨ أن دورها في المشروع الوطني الفلسطيني

الجدول رقم ٤

هل ترى حاجة إلى أن يكون لفلسطيني ٤٨ تمثيل جدي في المؤسسات السياسية الوطنية الفلسطينية؟

الإجابات %	٤٨	٦٧
أرى حاجة ملحة	٢٦	٥٦
أرى حاجة غير ملحة	١٥	١٧
لا أرى أي حاجة	٥١	١٣
لا أعرف / لا إجابة	٨	١٤
المجموع	١٠٠	١٠٠

قد يكون عن طريق المؤسسات الوطنية الفلسطينية، وأغلب الظن أن هذا ناتج من عدم وضوح المشروع الوطني ووظائف المؤسسات الوطنية، فضلاً عن المخاوف من ردة الفعل الإسرائيلية. ويتضح أيضاً عدم وضوح أدوات العمل، أو كيفية إشراك فلسطينيي ٤٨ في المشروع الوطني الفلسطيني، في الإجابات عن السؤال: في أي إطار سياسي يجب أن يتركز أكثر دور فلسطينيي ٤٨؟ هل في إطار المؤسسة الرسمية الإسرائيلية (الكنيست، مثلاً)، أم في إطار المؤسسة الرسمية الفلسطينية (المجلس الوطني الفلسطيني، على سبيل المثال)؟ هنا نجد أن الخيارات أوضح لدى المستطلعين في مناطق ٦٧، إذ أجاب ٥٠٪ منهم أنه يجب العمل في إطار المؤسسة الرسمية الفلسطينية (المجلس الوطني الفلسطيني، على سبيل المثال)، و٣٤٪ في إطار المؤسسة الرسمية الإسرائيلية (الكنيست، مثلاً) (انظر الجدول رقم ٥). وفي المقابل، لا توجد رؤية واضحة لدى المستطلعين في مناطق ٤٨، إذ لا نجد من يختار أحد البدائل، ف٣٢٪ فقط من المستطلعين اختاروا العمل في إطار المؤسسة الرسمية الإسرائيلية، و٦٪ العمل في إطار المؤسسة الرسمية الفلسطينية، و٤٩٪ أجابوا بأنهم يجب أن يعملوا في المؤسستين معاً، أي أن فلسطينيي ٤٨ لا يرون في الكنيست فقط، ولا في المؤسسات الفلسطينية وحدها، المكان الملائم ليعملوا من خلالهما في المشروع الوطني الفلسطيني، وإنما في المؤسستين معاً.

الجدول رقم ٥

في أي إطار سياسي يجب أن يتركز أكثر دور فلسطينيي ٤٨؟ هل في إطار المؤسسة الرسمية الإسرائيلية (الكنيست، مثلاً)، أم في إطار المؤسسة الرسمية الفلسطينية (المجلس الوطني الفلسطيني، على سبيل المثال)؟

الإجابات %	٤٨	٦٧
في إطار المؤسسة الرسمية الإسرائيلية (الكنيست، مثلاً)	٣٢	٣٤
في إطار المؤسسة الرسمية الفلسطينية (المجلس الوطني الفلسطيني، على سبيل المثال)	٦	٥١
الإجابتان السابقتان معاً*	٤٩	--
غير ذلك (جواب آخر)*	٢	--
لا أعرف / لا إجابة	١١	١٥
المجموع	١٠٠	١٠٠

* هذان السؤالان لم يُطرحا على المستطلعين في مناطق ٦٧.

وفي المحصلة، فإن إجابات المستطلعين ترى حاجة إلى إشراك فلسطيني ٤٨ في المشروع الوطني الفلسطيني، وإلى أن يؤدوا دوراً فاعلاً فيه، وأن يساهموا في حل القضية الفلسطينية، غير أن هناك عدم وضوح في الأدوات. وبشأن الحل المطلوب، نجد أن أغلبية المستطلعين في مناطق ٤٨ (٦٠٪) اختارت حل الدولتين، في مقابل ٤٤٪ في مناطق ٦٧، بينما حظي خيار حل الدولة الواحدة على دعم ٢٨٪ من المستطلعين في مناطق ٤٨، و٢١٪ في مناطق ٦٧ (انظر الجدول رقم ٦). غير أن هذا التباين منطقي في ظل غياب مشروع سياسي واضح ومأسس لحل الدولة الواحدة لدى التيارات السياسية الأساسية في مناطق ٤٨ التي تطالب منذ احتلال الضفة الغربية وغزة في سنة ١٩٦٧، وما زالت، بإقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل، كما أن هذا هو مطلب منظمة التحرير الفلسطينية منذ ثمانينيات القرن المنصرم، أي أنه المطلب المهيمن على المشهد الفلسطيني.

الجدول رقم ٦

أي حل مفضل لديك: حل الدولتين (فلسطينية وإسرائيلية)، أم حل دولة واحدة ثنائية القومية في كل فلسطين يتمتع فيها الفلسطينيون والإسرائيليون بتمثيل متساوٍ وحقوق متساوية؟

الإجابات٪	٤٨	٦٧
أفضل حل الدولتين: فلسطينية وإسرائيلية	٦٠	٤٤
أفضل حل الدولة الواحدة الثنائية القومية في كل فلسطين	٢٨	٢١
أفضل حلاً آخر	١	١
لا يوجد حل	٣	١٤
دولة فلسطينية*	--	١٧
دولة إسلامية*	--	١
لا أعرف	٤	٠
لا جواب	٣	٠
المجموع	١٠٠	١٠٠

* هذان السؤالان لم يُطرحا على المستطلعين في مناطق ٤٨.

على الرغم من أن معظم المستطلعين من مناطق ٤٨ ما زال يدعم حل الدولتين، ولا يعتقد أن هناك حاجة إلى العمل من خلال المؤسسات الوطنية الفلسطينية، فإننا نجد أن أكثر من نصف المستطلعين في مناطق ٤٨ يعتقد أن هناك مستقبلاً سياسياً مشتركاً بين الفلسطينيين في إسرائيل والفلسطينيين في الضفة الغربية، الأمر الذي يعني أن الخيارات السياسية للفلسطينيين في إسرائيل لم تُحسم بعد (انظر الجدول رقم ٧).

الجدول رقم ٧

هل تعتقد أن هناك مستقبلاً سياسياً مشتركاً بين الفلسطينيين في إسرائيل والفلسطينيين في الضفة وغزة؟

الإجابات %	النسبة
نعم	٥٣
لا	٤٧
المجموع	١٠٠

خاتمة

استناداً إلى نتائج الاستطلاع، يمكن القول إن الفلسطينيين في مناطق ٦٧ و ٤٨ مقتنعون بأهمية دور الفلسطينيين في إسرائيل في المشروع الوطني الفلسطيني، وبأهمية زيادة هذا الدور وتعزيزه، أما الاختلاف فهو في الأدوات. وإن عدم وضوح وظائف الفلسطينيين وأدوارهم في مناطق ٤٨ في المشروع الوطني الفلسطيني والأدوات لترجمة هذا الدور، لا يعود إلى اقتناعهم بمكانتهم المدنية والقانونية في دولة إسرائيل، ولا إلى أن مصيرهم السياسي منفصل عن مصير بقية الشعب الفلسطيني، ولا إلى قناعة بأن إسرائيل هي دولة ديمقراطية، ولا إلى اعتبار القضايا اليومية المعيشية أكثر أهمية من القضية القومية. ولا إلى كون إسرائيل توفر لهم الحقوق وتعمل لمصلحتهم، كما توضح نتائج الأسئلة الخاصة بمناطق ٤٨، والتي لم تُعرض نتائجها في هذا التقرير.

ومن العوامل الأساسية التي ربما تفسر عدم الوضوح هذا، غياب دور فلسطيني ٤٨ في المشروع الوطني في أي من البرامج السياسية للأحزاب العربية في إسرائيل، أو أنه غير مطروح بشكل مبلور ومتكامل. ففي الوضع الحالي هناك ثلاثة تيارات سياسية مركزية تعمل في وسط المجتمع الفلسطيني في مناطق ٤٨، وهي مختلفة بعضها عن بعض في تصوراتها لدور الفلسطينيين في إسرائيل ووظائفهم في المشروع الوطني، وفي طرحها لكيفية تغيير مكانة الفلسطينيين في إسرائيل. وهذه التيارات هي:

١ - التيار الشيوعي الإسرائيلي الذي ما زال ملتزماً فكرة إقامة نظام اشتراكي، ويطالب بتغيير السياسات تجاه الفلسطينيين في الداخل، وإنهاء التمييز العنصري، وإنهاء الاحتلال، من دون أن يطالب بتغيير طبيعة النظام. ويرى هذا التيار أن إنهاء الاحتلال هو الخطوة الأساسية وجوهر الصراع، لأن في إمكانه أن يحول إسرائيل إلى دولة ديمقراطية؛

٢ - التيار الإسلامي الذي يتبنى استراتيجية دولة الخلافة، ولا يطرح برنامجاً سياسياً واضح المعالم خاصاً بوضع الفلسطينيين في إسرائيل، ويكتفي بتنظيم المجتمع على أساس ديني؛

٣ - التيار القومي الذي يطرح مشروعاً سياسياً يتعامل مع خصوصية الفلسطينيين في إسرائيل، عبر فكرة إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل، هذا من جهة، والاعتراف بالحقوق الجماعية للفلسطينيين في إسرائيل من جهة أخرى. ويمكن الاستنتاج من طرح التيار القومي أن تغيير طبيعة إسرائيل وتفكيك الحالة الاستعمارية هما شرط ضروري لإنهاء الاحتلال وتغيير مكانة الفلسطينيين في الداخل، وأن إنهاء الاحتلال وحده شرط غير كاف.

نتائج استطلاع الرأي العام تشي بإمكان تطوير الطرح السياسي الذي يرى في تفكيك المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني خطوة ضرورية لإنهاء الاحتلال وتغيير مكانة الفلسطينيين داخل إسرائيل. غير أن تفكيك هذه المنظومة يتطلب وضع مشروع فلسطيني مشترك يتفق على الأهداف الوطنية الجامعة وعلى الثوابت الفلسطينية، ويأخذ بعين الاعتبار أدوات العمل المتاحة لكل فئة من فئات الشعب الفلسطيني، فالهدف مشترك، والاختلاف هو في الأدوات. ■

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

طريق الكفاح في فلسطين والمشرق العربي

مذكرات القائد الشيوعي محمود الأطرش المغربي

إعداد وتحريرو: ماهر الشريف

٣٧٢ صفحة ١٢ دولاراً